

اشتراط ثلاثة شروط لقبول الولاية

عمر في المدينة.. عدل مع الناس وحرص على طاعة ولي الأمر

الذي نسميه (مجلس العشرة) إن عمر افترض - غياب أحدهم عن الحضور لعذر من الإغفار وإلحاقاً لم يشترطه في تدبيره حضورهم كلهم، وإنما قال: (أو براى من حضر مكم)، إن هذا المجلس كان يستشار في جميع الأمور دون استثناء. وتؤكد هذه القصة أهمية العلماء الربانيين وعلو مكانتهم وأنه يجب على صاحب القرار أن يندبهم ويقرهم منه ويشاورهم في أمور الرعية، كما أنه على العلماء أن يلتفتوا حول الصالح من أصحاب القرار من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن للمصالح وتقليل ما يمكن من المفاسد، كما أن عمر بن عبد العزيز لم يختصر في شواره على هؤلاء فحسب، بل كان يستشير غيرهم من علماء المدينة، كسعيد بن المسيب، والزهرى، وغيرهم، وكان لا يقضى في قضاء حتى يسأل سعيد، وفي المدينة أظفر عمر عبد العزيز للسبب يسأله عن مسألة، وكان سعيد لا يأتي أمير ولا خليفة فأخطأ الرسول فقال له: الأمير بدعوك، فأخذ سعيد تعليه وقام إليه في وقته، فلما رام عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد ألا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا، فلما لم ترسله ليدعوك، ولكنه أخطأ أتما أرسلناه ليسألك ، وفي إمارته على المدينة المنورة وسع مسجد رسول الله صلى

قرب العلماء الربانيين من ابن عبدالعزيز زاد المصلحة وقلل المفسدة

الله عليه وسلم بأمر من والوليد بن عبد الملك، حتى جعله مائتي ذراعاً في مائتي ذراع، زخرفه بأمر الوليد أيضاً، مع إنه رحمه الله تعالى كان يكره زخرفة المساجد ، ويتضح من موقف عمر بن عبد العزيز هنا أنه قد يضطر الوالي للتجاوب مع قرارات من هو أعلى منه حتى وإن كان غير مقتنع بها إذا قرر أن المصلحة في ذلك أكبر من وجود أخرى، وفي إمارته على المدينة في سنة 91هـ حج الخليفة الوليد بن عبد الملك فاستقبله عمر بن عبد العزيز أحسن استقبال، وشاهد الوليد بأمر عينيه الإصلاحات العظيمة التي حققها عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة،



عرب الصحراء أصبحوا سادة الأمم بالأخلاق

عند الله أعظم من حرمك؛ ماله ودمه؛) اللفظ لابن ماجه.

مكانة الأخلاق في ديننا

للأخلاق في ديننا مكانتها الخاصة وميزانها الرقيقة، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قصر الهدف من رسالة الإسلام على تنميط مكارم الأخلاق في واقع الناس وسودهم. وهذا مدلول لوله- صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»، وهذا حق وصحيح؛ حيث نلاحظ دائما أن الهدف الخلقى والسلوكي هو المبتغى من وراء التكليف بالعبادة في إيمانها وفي تفصيلها، فعلى سبيل الإجمال نقرأ قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبداؤا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، وعلى سبيل التفصيل نقرأ قوله تعالى في شأن الصلاة: «واقم الصلاة»، وفي شأن الزكاة «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم»، فلا عجب إذا أن يعتبر سلفنا الصالح الدين هو الحق، وهذا ما عبر عنه ابن القيم- رحمه الله- بقوله: «الدين الحق، فمن زاد عنك في الحق زاد عنك في الدين، ومن نقص عنك في الحق نقص عنك في الدين». وهكذا فإن مبادئ الدين صلى الله عليه وسلم غير حال أمة العرب من القلام إلى النور ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة.

«فياح هؤلاء البشر إلى ما صاروا عليه بعد إسلامهم، وإن يصحوا بهذه الأخلاق الفائرة التي هي رسالة السءاء إلى الأرض، من خلال النبي الذي كان معروفا بين قوم -ه- من قبل أن يبعث -ه- بالصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم - فقد حول مولد الهادي وبعثته - رعاة الغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، كان الرجل من الصحابة - مثلا - يأتي من الجاهلية جاهلا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، غير مؤمن بشيء من أمور الدين، ولا بأخلاق، فيلفظ أمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيخبره الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأمور الإسلام والإيمان، وما يجب عليه، وخلال جلسات قليلة - أو ساعات قليلة - نجد هذا الإنسان قد انقلب خلقا آخر، وتغير تغيرا جذريا، تغير في سلوكه، وفي أخلاقه، وفي شخصيته، وفي نظراته، وفي تصرفاته، حتى كأنه ليس الشخص السابق، وأدلك صار يظهر منهم البطولات التي يلف الإنسان أمامها مبهورا، وهو يقرأها على صفحات الكتب، فيستغرب كيف وصل بشر من البشر إلى هذا الحد. وأحيانا خلال فترة قصيرة جدا».

وأكبر دليل على ذلك أننا في عصرنا الحاضر بعد أن تخلفنا عن أخلاقنا ضاعت منا الدنيا، بعد أن كنا تملكها، وأصبح أرخص دم يراق على الأرض هو دم المسلم، هذا المسلم الذي قال فيه النبي فيما يرويه عبدالله بن عمرو، قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطوف بالكعبة، ويقول: (ما أطيبك! وما أطيبك ريحاً! ما أعظمك! وما أعظم حرمك! والذي نفس محمد بيده، حرمه المؤمن

سؤال يحيرني: كيف أعامل غير المسلم؟

- العودة: النهي عن إلقاء السلام على اليهود والنصارى جاء في ظرف خاص وفي ظل توتر في العلاقات**
- هناك خلاف بين السلف في كيفية التعامل ورد السلام يدل على أن الأمر فيه سعة**
- النبي قبل هدية من غير المسلمين وأهدى لهم وهو صاحب الشريعة**

حجيجه يوم القيامة) (أبو داود)، كما أجاز الإسلام للمسلم أن يهدي الهدايا إلى غير المسلمين، وإن يقبل منهم الهدية ويجازيه عليها، فقد ثبت أن النبي (أهدى إليه الملوكة، قليل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة -أم المؤمنين- رضي الله عنها-، أن النبي قال لها، «إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقى من مسك» (أحمد).

ويجب على المسلم أن يكون تعامله مع غير المسلم في حدود القائلين فيه لا القائل به، فقل له عادته وتقاليده، فلا يجوز للمسلم التشبيه بغير المسلم فيما يخالف مبادئ الإسلام، كان يتشبه بهم في ملابسهم، أو يقدم مشروبا محرما لضيفه، أو تلعبا غير حلال للمسلمين، أو ما شابه ذلك.

هذه هي مبادئ الإسلام الخالدة وقيمه السامية التي تتعامل مع الإنسان وتحترمه، فقد كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدتين بالفارسية، فمر الناس عليهما بجنازة فقاما، فقبل لهما: إنها من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقلالا: إن النبي (مرت به جنازة فقام، فقبل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (البيست نفسا) (بخاري).

- مبادئ إسلامية**
- هناك مبادئ يجب أن تترسخ في ذهن كل مسلم ليعرف كيف يتعامل مع غير المسلمين ومنها: أولا: اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: ﴿ولقد كرمتنا بني آدم﴾ (الإسراء:70) وهذه الكرامة المفردة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.**
- ومن الأمثلة العظيمة ما رواه البخاري عن جابر ابن عبد الله، أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا، فقبل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال:«البيست نفسا؟» بلى، ولكن نفس في الإسلام حرة ومكان، فما أروع الموقف وما أروع التفسير والتعليل!**
- ثانيا: اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع -﴿قن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف:29) «ولو شاء ربك ليجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (هود:118، 119) قال المفسرون: أي ولا اختلاف خلقهم؛ لأنه منجم العقل والإرادة، فاقترضت مشيئته أن يختلفوا.**
- والمسلم يؤمن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، علم الناس ذلك أو جهلوه؛ ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يجبر الناس ليصيروا كهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم:﴿ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا فاقتلت تكرد الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس:99).**
- ثالثا: ليس للمسلم مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين. قال تعالى:﴿وإن جادلوك فقل: الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (الحج:68، 69).**
- وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمئت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (الشورى:15).**
- وقد قال عيسى عليه السلام لربه يوم القيامة: «إن تعذيب قائمهم عبادك وإن تغفر لهم فإنيك أنت العزيز الحكيم» (المائدة:118).**

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي اثر للصراع بين اعتقاده بكر الكافر، ومطابقته بيرد والإفساد إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.
زايها، إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب الفسط،

ويبدو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم تكافر- قال تعالى:﴿ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾(المائدة:8).

وقال صلى الله عليه وسلم:«دعوة المظلوم -وإن كان كافرا- ليس دونها حجاب».

وقال تعالى:﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسفلوا إليهم إن الله يحب للمسلمين﴾.

الرجوع إلى الكتاب والسنة يعلمنا حقيقة التعامل مع غير المسلمين

وقد أكد د. سلمان العودة أن الأمر للمسلمين بأن يضطروا أهل الكتاب لأضييق الطرق عند ملاقاتهم في الطرقات والوارد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا خرجت أحدكم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، أنه إذا كان الحديث ينبغي عن ابتدائهم بالسلام، كيف يمكن أن يؤول أن إبراهيم عليه السلام سلم على والده «قال سلام عليك»، والله سبحانه وتعالى ذكر لفظ السلام «لينا أعمالنا ولكم أعمالكم سلاما عليكم»، وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام «فاضفح عنهم وقل سلام»، وأضاف فضيلته ولذلك وقع الخلاف بين السلف في هذه المسائل بعد أن اتفق عامةهم على جواز الرد على سلام

الكافر بلفظ «وعليكم السلام، سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو غيره، ولكن اختلفوا في ابتدائه بالسلام وفي لفظ السلام، أما ابتدائه بالتحية مثل مساء الخير صباح الخير فلا إشكال فيها، ولكن الإشكال في لفظ: السلام عليكم، وذلك على لولين:

القول الأول: يجوز إلقاء السلام على الكافر، وهذا مذهب أبي امامة وحذيفة وابن مسعود وابن عباس والحنفية وكثير من فقهاء الشافعية وفقهاء الحنابلة وغيرهم، كما أن الأوزاعي -رضي الله عنه- عندما سئل عن ذلك قال : «إن سلمت فقد سلم الصالحون وإن تركت فقد ترك الصالحون»، مما يدل على أن الأمر فيه سعة.

القول الثاني: بعدم إلقاء السلام عليهم؛ ولكن يُحيون بتحية أخرى.

وأوضح العودة أن حديث «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام» الذي ربما هو أساس الحجة، قيل في ظرف خاص، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إني راحل لليهود دعا، وذلك في ظل توتر في العلاقات وتهيؤ لقتال اليهود بعدما خالوا، فكان عدم إلقاء السلام عليهم -في نظري- أنه من الأمانة النبوية، فكيف اتقى عليه السلام وأنا أحضر لحرية بعدما نقض العهد والميثاق مما يتطلب وضوحا في المعاملة.

وعلى ذلك فإن النبي عليه السلام عندما نهى عن الإلقاء كان هذا في ظرف خاص له اعتبار تاريخي، حيث أشار ابن القيم في «زاد المعاد» إلى هذا الاحتمال وإن لم يريحه ولكن هو الأرجح -في نظري- بمقتضى مجموع النصوص الواردة في الباب.

العرب قبل الإسلام

فبظفره إلى مجتمع العرب وقت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - نجد أن أخلاق العرب في قمة السوء حيث أولعوا بالخمر والفقر، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والقتل، وسك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامي، والتعامل بالربا، والسرقه والزنا، وما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الربايات من المغايا، ويشتر أن يكون في الخمر، وليس ادل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: «على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين»، قالت السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان: أوتزني الحرة؟

وله كان ضربا من الخيال أن يتقبل أي أحد أن تتغير

وإذا كان الإسلام لا ينهاي عن البر والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسفلوا إليهم إن الله يحب المسفلين- إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ (الممتحنة: 938-).

فلم ترغب الآيات في العدل والإحسان إلى غير المسلمين فحسب، بل رغبت في البر إليهم أيضا.

وإذا كان الإسلام لا ينهاي عن البر والنصارى، فإنه ينتظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد قدم القرآن الكريم نموذجا في أدب الحوار معهم فلا يتأديهم إلا بقوله تعالى: يا أهل الكتاب، يا أيها الذين آمنوا أوتوا الكتاب، وذلك إشارة إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي، وبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، يمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث به الله -سبحانه وتعالى- أنبياءه جميعا قال تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (الشورى: 13).

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلغ عياله، ودخل وفد نجران على النبي (مسجده بعد العصر)، فكانت صلاتهم، فلماوا يصلون في مسجده، فناد الناس منهم، فقال: «دعوه»!

فاستقبلوا لشرق فصلوا صلاتهم، وقد أوصى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بأهل الذمة خيرا، وأن يفي بعهدهم، ولا يكظمهم فوق طاقتهم، والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصرى الثامن والحماية،

وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية.

والإسلام جعل من بين أركان عقيدته الإيمان بكتب الله قاطبة، ورسله جميعا، ومن ينكر ذلك يدخل في دائرة الكفر، قال تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقد أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم، والتزوج من نسائهم في الحدود الشرعية المسوحة، قال تعالى: «ووطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» (المائدة: 5).

الرفق في الحديث

حث الإسلام على الترفق في الحديث معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن؛ لأن في ذلك نزعا للأخلاق، وتنقية للنفوس مما يعلق بها من حقد، قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإليها وإلهمك واحد ونحن له مسلمون» وكذلك حث الإسلام على توفير الحياة الآمنة، كما حث على الصدق في التعامل والعدل والسلام مع غير المسلمين؛ وقال: (من أدنى دميأ فلانا خصم، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) (الخطيب).
وقال: (من قلم معادا، أو انتقص حقا، أو كلفه فوق طاقتة، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا

